

أثر القرآن الكريم في الشعر العربي في العصر الإسلامي

*الأستاذ الدكتور الحافظ عبدالرحيم

**جاويد إقبال

Abstract:

The introduction, purpose and signification of the Sacred and the Holy Quran has been described in this article. The Holy Quran has impacted on Arabic language and literature, especially to the Arabic poetry. In early age of Islam, poetry were radically replaced by ideas and concepts generated by the Holy Quran, especially those related to God, man, universe, good and evil, and hereafter etc. The Holy Quran has denounced poets who roam about in every valley of imagination and fancy and are followed by the miss-guided ones, but at the same time it has exempted poets with strong faith in Allah and doing good deeds from this judgment. The Holy Prophet (peace be upon him) has regarded some poetry and rhetoric as the fountain of wisdom and magical impact respectively. Islam did not kill the poetic spark amongst the Arabs nor prevented them from going ahead in poetic creation; rather it has encouraged poetic genius, exploited especially to promote the message of Islam. The literary person and poets of Arab and non-Arab were so impressed by the words and meaning of the Quran and its ways that we see a sub-line impact of the Holy Quran on their language, diction, ways, art and literature.

Key Words: impressed. Words. Meaning. Quran. Poetry. Impact.

* عميد كلية الدراسات الإسلامية واللغات، ورئيس القسم العربي، جامعة بماء الدين زكريا ملتان.

** متخصص اللغة العربية في المدرسة الثانوية الحكومية، مخدوم بور-خانيوال.

تمهيد

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الصادق الوعد الأمين، أرسله الله رحمة للعالمين، بشيرًا ونذيرًا، وأصلّ وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

إن الأدب الإسلامي الرفيع الذي خلف السلف الصالح من المؤمنين، معينه صاف وخيره كثير بلغ الذروة في سمو الكلمة الطيبة و الحكمة الرفيعة.

وكان لزاماً على الباحثين أن يسهموا ويجهدوا بأقلامهم للرد على أوهام المغرضين ضدّ الأدب الإسلامي، ويجب على أبناء المسلمين أن يقدموا دراسات علمية جادة في سبيل كشف الغطاء عن حقيقة الأدب الإسلامي.

ولقد أسهم عدد غير قليل على الدين الإسلامي وأدبه وبخاصة من أبنائه في الحقب الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجري بردهم الإيجابي السليم على تلك الأهاوم والأباطيل ضدّ الدين الإسلامي الحنيف، وضد أدبه النبوي. وفي العصر الأموي أمتزج فيه العرب بالعجم، وانساحوا شرقاً وغرباً يفتحون البلاد وينشرون الإسلام في كل حذب وصوب، فاذا الشاعر العربي يجيا بعد ذلك في أوطان جديدة تختلف اختلافاً كلياً عما هي في الجزيرة العربية. ثم ان انتقال العربي ذاته في البلاد العربية نحو التحضر وتركه للتبدي كان بحد ذاته ذا أثر عظيم في التكوين الثقافي والاجتماعي للمجتمع العربي في العصر الأموي ، فنجد الحواضر قد بنيت، وازداد عددها، وأوضحت القرى والمدن مراكز استقطاب تجذب إليها الناس جميعاً. ولاشك ان هذا الانتقال الرائع للحياة العربية، والذي أرسى دعائمه الدين الإسلامي، قد أثر تأثيراً إيجابياً في الشعر العربي، ولاسيما أن الشعراء أخذوا يخضعون لمؤثرات مختلفة بيئية وحضارية ودينية واقتصادية وثقافية، ولاننسى أيضاً تعرب من ليس بعربي، فهذا أيضاً ذو أثر عظيم في الشعر العربي.

ونحمد الله العليّ القدير الذي وقفنا بفضلته في الرد على تلك الأوهام وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة عن أدب الدعوة الإسلامية هذا، ثم عرضت لموقف الدين الإسلامي الخفيف من الشعراء العرب في ضوء القرآن الكريم ، وكذلك حاولت تحليل هذا الموقف يعني أثر القرآن الكريم في الشعر العربي.

القرآن الكريم هو الذي أنزل الله تعالى على نبيه الكريم ليهدي الناس إلى الصراط المستقيم. حينما نزل القرآن الكريم راع العرب سحره وبهرهم أسرته وأخذ بمجامع قلوبهم بيان الساحر ، وأسلوبه المعجز القاصم، فتوهوا سحرًا وما هو بالسحر، وظنوا سحرًا وليس بالشعر، كما قالوا ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (فرقان: 5/25). فقال الله تعالى ردًا عليهم: ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (فرقان: 6/25) كما إنهم ادعوا أن رجلاً يعلم الرسول الكتاب والحكمة، ويلقي إليه بما يطالع الناس به من رائع الآيات ومحكم البيانات. فقال القرآن موضحاً ذلك: ﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (النحل: 103/16). هكذا إنهم حاولوا أن يصرفوا الناس عن الناس هداية، ويحولوا دون الخضوم لسحره والأنصت ببيانه فما استطاعوا: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴾ (فصلت: 26/41).

إن القرآن الكريم خير مؤدب للنفس المؤمنة بما يعود عليها بالفائدة، والصلاح في الحياة الدنيا والآخرة. وهو يعالج النفس الإنسانية معالجة دقيقة مما قد يعلق بها من أدران الحياة الفانية. فللقرآن الكريم منهج رباني في تربية نفوس المسلمين. قال الله تبارك و تعالى مبيناً هذه الحقيقة الخالدة عنه: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾²

² - حم السجدة: 42/24.

وإن أهداف القرآن الحكيم أهداف نبيلة سامية، تسمو أهدافه بالنفس المؤمنة المطمئنة إلى رفيع الدرجات بعد اكتمال نموها، فتغدو في مصاف الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

ويتضح المنهج القرآني في تربية الأديب و بخاصة الشاعر المسلم في قول الله تبارك و تعالى عن الشعراء الذين خصص لهم سورة باسمهم في الذكر الحكيم حيث قال الله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾³

وقد وردت في سبب نزول هذه الآية الخاصة بالشعراء أقوال عديدة وتفسيرات كثيرة، ومنها قول الضحاك: تماجى رجلان أحدهما أنصاري، والآخر مهاجر على عهد رسول الله مع كل واحد غواة قومه، وهم السفهاء، فنزلت هذه الآية. وبهذا قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، وعنه: (وهم الرواة للشعر) وروى عنه علي بن أبي طلحة أنهم (هم الكفار يتهمون بضلال الجن والإنس).⁴

بل لقد قيل في هذه الآية: إنها نزلت في عبد الله بن الزبير أحد شعراء مشركى مكة قبل إسلامه، ونزلت في مسامع بن عبد مناف وأميمة بن أبي الصلت شاعر ثقيف في الجاهلية. وقيل كذلك إنها نزلت في أبي عزة الجمحي حيث قال:

ألا ابلغا عني النبي مُجْداً
بأنك حقّ والمليك حميدٌ
ولكن إذا ذكرت بدرأً وأهله
تأوه مني أعظم و جُلُودٌ⁵

³ - الشعراء: 224، 225، 226، 227/19.

⁴ - القرطبي: مجّد بن أحمد بن أبي بكر، أبو عبد الله، (ت: 671هـ) الجامع لأحكام تفسير قرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: 2-1384هـ، 486/6.

⁵ - الدكتور محمود حسن زيني، دراسات في أدب الدعوة الإسلامية، الطبعة الثانية (1428هـ - 2006م) ص: 54.

وفي الحقيقة أن الشعراء انقسموا فريقين إبان فجر الدعوة الإسلامية و بخاصة بعد انتهاء الفترة المكية وبداية مرحلة جديدة في تاريخ الدعوة الإسلامية، فإذا بقرش لم يعرفوا بالشعر قبل الإسلام أو بالأحرى لم يكن لهم شعر يرقى إلى درجة شعر الفحول في الجاهلية ليعادوا رسول الله ﷺ في المدينة، ويخاصموا دعوته.

وقد أفلحت قريش في تكوين الفريق الأول من الشعراء الذي يمثل المعارضة المكونة من أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، ومن عبدالله بن الزبير بن قيس السهمي القرشي، ومن ضرار بن الخطاب الفهري، والحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله المخزومي أخ أبي جهل، وأبي عزة الجمحي وعمرو بن العاص، وانضم إلى المجموعة المعارضة من الشعراء في مكة أمية بن أبي الصلت الثقفي الذي كان يتمنى أن تنزل المجموعة المعارضة من الشعراء في مكة أمية بن أبي الصلت الثقفي الذي كان يتمنى أن تنزل عليه النبوة فلما نزل الوحي على رسول الله ﷺ قتله حقه، فراح يحرص المشركين على حرب الرسول ﷺ ومعاداته في كل مكان.

أمّا الفريق الثاني من الشعراء فأولئك هم الذين أنار الله قلوبهم وهداهم إلى الإسلام فوهبوا نفوسهم وأموالهم وما يملكون من شعر للذود عن رسول الله ﷺ، والجهاد في سبيل الله إعلاء لكلمة الحق تبارك و تعالی، ودفاعاً عن الدين الإسلامي الحنيف، ضد أعداء الله والدين من المشركين واليهود والمنافقين، فوهب شعراء للأنصار الثلاثة نفوسهم للدعوة الإسلامية وهو: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة رضی الله عنهم أجمعين. وبذل الشعراء المهاجرون وشعراءهم نفوسهم رخيصة في سبيل نصره الدعوة الإسلامية ونشر الدين الإسلامي الحنيف، وهم: عبدالله بن جحش وعبيد بن جيش و عثمان بن مظعون و عبدالله بن الحارث السهمي وغيرهم.

وأخذ شعراء الأنصار مع إخوانهم شعراء المهاجرين في الوقوف ضد الشعراء المشركين الذين شهروا سلاح الشعر في وجه الدعوة الإسلامية وهدموا ما بناه الإسلام و الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وافتروا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه شاعر و ساحر و مجنون. ومن أجل هذا أنزل في حق شعراء المشركين قوله الكريم في سورة الشعراء: ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾⁶ وقد نزلت هذه الآية مؤكدة حال الشعر الوثني وحال الشعراء الجاهلين الكافرين في شعرهم، وأن القرآن الكريم ليس بشعر، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس بشاعر وليس بساحر وليس مجنون ولا كاهن، وليس كما كان يدعى خصوم الإسلام إبان بغض النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد بين القرآن الكريم حال الشعراء المسلمين الذين استثناهم في الآية يقول تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا.....﴾ فكان هؤلاء هم شعراء الدعوة الإسلامية الذين برأهم الله تبارك و تعالى من الغواية والضلال وأنهم يمثلون بحق شعر الدعوة الإسلامية.

آراء المستشرقين

1- رأى بروكلمان الألماني:

انفرد بروكلمان بأحكام معتدلة دون سائر أقرانه من المستشرقين على لبيد بن ربيعة العامري الشاعر المسلم الذي عاش في عصر النبوة والخلفاء الراشدين الذين أغفلهم بروكلمان في تقسيمه لمراحل الأدب. فلقد أعجب به كثيراً في شعره ، وخالف في حكمه عليه عدداً كثيراً من النقاد ومؤرخي الأدب المحدثين. فلقد قال عنه: "ومما يزيد شعره نفاسة ما يتردد فيه من نعمات دينيه، وقد قيل: إن لبيداً لم يقل شعراً في الإسلام، وليس

⁶ - الشعراء: 224/19.

هذا بصحيح، فإن كثيراً من شعره مطبوع بطابع الوحي، ويبعد أن تكون كل هذه الأبيات منحولة وإن ظهر فيها شيء من التزويد عليه".⁷

واستشهد بروكلمان في حكمه على لبيد، الذي أثر فيه الإسلام تأثيراً قوياً، بقول أبي عمرو بن العلاء عنه: "ما أحد أحب إلي شعراً من لبيد بن ربيعة لذكره الله عزوجل، ولإسلامه، ولذكره الدين والخير، ولكن شعره وحي...".⁸

يقول في بعض أبيات القصيدة الكثيرة:

وإلى الله يستقر القرار	إنما يحفظ التقى الأبرار
الله ورد الأمور والإصدار	وإلى الله ترجعون وعند
ولديه تجملت الأسرار	كُلّ شبيئ أحصى كتاباً وعلماً
لو كان ينفع الإنظار	إن يكن في الحياة خير فقد أنظرت
إلا يرموم و تعار ⁹	عشت دهرًا ولا يدوم على الأيام

ولم يعتدل بروكلمان في حكمه على لبيد فحسب، بل ذهب كذلك يُبين فضل انتشار شعر شاعر آخر عاش في صدر الإسلام ألا وهو شاعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حسان بن ثابت رضى الله عنه ويبين كيف تعلق الناس به وبشعره في الأزمنة المتأخرة وعزا ذلك إلى غرضه العظيم الأهمية على حد تعبيره وهو مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وامتدت أحكامه المعتدلة كذلك بعدهاذين الشاعرين إلى كعب بن زهير رضى الله عنه، فقد أعجب بروكلمان بشاعرية كعب بن زهير (رضى الله عنه) وقد برده الشهيرة التي خلعها عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فلقد قال عنها:

⁷ - كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ترجمة عبدالحليم نجار، دار المعارف، بالقاهرة 145/1.

⁸ - الدكتور محمود حسن زيني، دراسات في أدب الدعوة الإسلامية ص: 144.

⁹ - ديوان لبيد بن ربيعة، دارالكتب العلمية، بيروت. ص 212. ص: 174.

"وهي من أشهر أشعار العرب وألبست الشاعر حلة مجدٍ لا يبلى".¹⁰

2- رأى كارلوناينو الإيطالي:

كان كارلوناينو من درس تاريخ الأدب العربي على طلبة كلية الآداب جامعة الملك فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً). وإذا ما نظرنا في هذا الكتاب وجدنا مؤلفه وقد أجاز لنفسه تقسيم الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في أوائل ظهور الإسلام أو في أيام الخلفاء الراشدين إلى ثلاثة أصناف بالإضافة إلى الدين الإسلامي:

1- الذين قالوا الشعر في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم سواء أسلموا أم لم يسلموا (ولكنه لم يذكرهم). فأكثرهم وأشهرهم في نظره من أهل المدر الذين كانوا يفدون في الجاهلية على الملوك.

2- الشعراء الذين قالوا الشعر في رثاء قتلى الكفار وهجاء النبي وأغلبهم من أهل مكة، ولكنه غاب عنه شعراء من غير أهل مكة قالوا الشعر في رثاء قتلى الكفار ومنهم أمية بن أبي الصلت الثقفي.

3- شعراء أسلموا ولم يهتموا في أبياتهم بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والدين وهم أكثر شعراء البادية.¹¹

ومن الملاحظ على كارلوناينو، اعترافه أن أول من يصلح لهم اسم شاعر إسلامي هو حسان بن ثابت الأنصاري، وحُسن إسلامه ظاهر في جملة أشعاره وهي "على سداجة نظمها وألفاظها واقعة على القلوب ظاهرة التَّفَجُّع بينة الحسرة والتلهف والأسف".¹²

وقد علل كارلوناينو سبب شكه في تأثير الدين الإسلامي في شعر الصنف الثالث من تقسيماته، على وقته في أفكارهم و عواطفهم و موضوع قريضهم، كأن أحوالهم ما تغيرت منذ انتهاء عصر الجاهلين، بأن أهل البادية كانوا من أبعد الناس عن روح الإسلام، ولا

¹⁰ - بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 156/1.

¹¹ - بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ص: 104.

¹² - الدكتور محمود حسن زيني، دراسات في أدب الدعوة الإسلامية، ص: 147.

ميل لهم إلى تأمل أمور الدين وفهمها، فصعب دخول الإيمان في قلوبهم، فلم يزالوا إلى أيامنا موصوفين بقلّة عواطفهم الدينية ونزل فيهم في سورة التوبة:

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾¹³

والواقع أن كارنالينو قد أخطأ خطأً شديداً وأسرف في شكه في تأثير الإسلام في شعر شعراء البادية، كما أسرف في حكمه على الأعراب وأخطأ بحقهم. ولهذا فحكمه مردود عليه، إذ بالغ فيه وعمم واعتبر جميع الأعراب في درجة مماثلة في قلة الإيمان، ونسى أو تناسى قول الله تبارك وتعالى في حكم كتابه، وحكمه على الأعراب المؤمنين إذ قال الله تبارك وتعالى في سورة التوبة نفسيها:

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سِذِّخَلُهمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾¹⁴

ونكر على نالينو توسيعة دائرة شكه في شعراء الصنف الثالث الذين سماهم شعراء البادية. بل إننا نعتبر حكمه ضد أولئك الشعراء حكماً جائراً مرفوضاً مردوداً عليه، إذ لم يشحن منهم الشعراء الذين أسلموا وحسبن إسلامهم، وتأثروا بالإسلام حقاً وهم: مَبْتَمَم بن نويرة و عمرو بن معد يكرب الزبيدي والعباس بن مرداس السليمي، وأبو ذؤيب الهذلي وأخوه أبو خراس.

وأما قوة تأثيره في النفوس و سلطانه الروحي على القلوب فهذا يشعر به كل منصف و حسبنا برهاناً على هذا ما قاله الوليد بن المغيرة،¹⁵ وهو الدّ أعداء الرسول صلى الله عليه

¹³ - التوبة: 98/11.

¹⁴ - التوبة: 99/11.

¹⁵ - هو ابن زنا، فقد كان دعيا في قريض وليست منهم ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة، أي بتناه ونسبه

لنفسه بعد أن كان لا يعرف له أب. انظر حاشية الصاوي 233/4.

وآله وسلم: "ما هو من كلام البشر ولا من كلام الجنّ وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه".¹⁶

معاني القرآن و مبادئه:

يقول الإمام عبدالقاهر الجرجاني متحدثاً عما أعجزهم من القرآن المجيد:

"مزايا ظهرت لهم في نظمه - أي القرآن - وخصائص صادفوها في سياق لفظه، ومساق كل خير، وصورة كل عظة، وتنبيه وإعلام وتذكير و ترهيب و ترغيب ، ومع كل حجة و برهان ، وصفة وتبيان، وبهرهم أنهم تأملوه سورة وآية؛ فلم يجدوا في الجميع لفظه ينبو مكانها، أو ينكر شأنها، أو يُرى أن غيرها أصلح هناك أو شبهه أو أخرى أو أخلق؛ بل وجدوا اتساقاً بمر العقول و نظماً أعجز الجمهور، ونظاماً والتثاماً، واتفاقاً وإحكاماً ، لم يدع في نفس بليغ منهم....."¹⁷

أسلوب القرآن وخصائصه:

أما أسلوب القرآن الحميد فمن خصائصه العامة هي كالاتي:

1- التكرار وذلك لتثبيت المعنى في الأذهان والتأثير في النفوس ومن السور التي

يتضح فيها التكرار البليغ في سورتي القمر والمرسلات.

2- الالتفات هو انتقال من ضمير كأن ينتقل من صيغة الغائب إلى المخاطب أو

المتكلم، كقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَعَرَضُوا عَلَيَّ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۗ﴾¹⁸

فقد تكلم عن المشركين بضمير الغائب في قوله: " وَحَشَرْنَاهُمْ " وضمير

المخاطب في قوله: " جِئْتُمُونَا ".

¹⁶ - ابن كثير، الحافظ: تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، الدكتور الحافظ عبدالرحيم، أثر القرآن في الشعر

العربي، مجلة البحث لكلية الدراسات

الإسلامية واللغات، جامعة بقاء الدين زكريا ملتان، المجلد: 2، 2002، ص: 80.

¹⁷ - الجرجاني، الإمام عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رضوان الداية. ص: 36.

¹⁸ - الكهف: 47/16.

3- ضرب المثل و معظم أمثال القرآن محسوسة وذلك لتثبيت الأمور المعنوية ولتوضيح في الأذهان فلذلك قام عدد كبير من العلماء منذ العهد الإسلامي الأوّل بدراسة الإعجاز القرآني من جهة الجمال اللفظي والمعنى.

وجوه الإعجاز:

أما إعجاز القرآن فإنما نزل من رب العلمين على مُخَدِّ وكان أمياً لم يكن يعرف القراءة والكتابة ولم يجلس يوماً إلى كتاب، ولذلك لم يكن بمقدوره أن يكتبه هو فهذا دليل على أنه كلام الله، وبالإضافة إلى ذلك أن القرآن تحدى القوم، فقد عجزوا كلياً عن مجاورة أسلوب القرآن وكان تحدى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم العرب بالقرآن على مراحل ثلاث:

1- تحداهم بالقرآن كله، فقل: ﴿قُلْ لئنِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ

هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾.¹⁹

2- تحداهم بعشر سور منه، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾.

3- تحداهم بسورة واحدة منه، فقال: ﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾.²⁰

أما وجوه الإعجاز فقد ناقش هذا الموضوع البلاقاني وذكره ثلاثة وجوه وقسم الوجه الأخير إلى اثنتي عشرة صورة وعد الماوردي عشرين وجهاً وأضاف القاضي عياض عليها وجوهاً عديدة وبلغ عدد وجوهه أربعة وأربعين عند المتأخرين. والحق أن موضوع إعجاز القرآن ووجوهه يحتاج إلى مقال مستقل وبالمناسبة هنا نقدم خلاصة ما ذكره كبار العلماء من وجوه الإعجاز.

¹⁹ - بنى إسرائيل: 88/15.

²⁰ - البقرة: 23/1.

1- وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف وهو بأن اعتدلت مفرداته تركيباً ووزناً وعلت مركبات معنى بأن يوقع كل فن مرتبة العليا في اللفظ والمعنى.

2- الإخبار عن الغيوب المستقبلية ولم يكن ذلك من شأن العرب كقوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾²¹ و﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾²² ﴿الْمُغْلِبَتِ الرُّومُ﴾²³ وغير ذلك مما أخبره بأنه سيقع فوق.

3- إخباره عن قصص الأولين وسائر المتقدمين كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾²⁴

4- نظمه و صحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه.

5- الفصاحة و غرابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب.

6- أنه شئ لا يمكن التعبير عنه بأن الإعجاز يدرك ولا يمكن وصفها كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها.

إن القرآن ليس بمعجزة من حيث البلاغة والفصاحة و مراعاة المقام وحسن الترتيب والتنسيق فحسب بل سائر كلماته مزينة و مرصعة بنور إلهي بعيدة كل البعد عن إمكانية التبديل والتقليد، كما يقول الزركشي: "الدليل على عظمة القرآن أنه غير قابل للتحريف والتغيير والتبديل"²⁵.

تأثير القرآن الكريم في الألفاظ

ونذكر هنا أهم الشعراء:

²¹ - القمر: 45/27.

²² - الفتح: 27/26.

²³ - الروم: 1، 2/21.

²⁴ - هود: 49/12.

²⁵ - الزركشي، بدرالدين، البرهان في علوم القرآن: دارالفكر، بيروت، لبنان. 90، 91/4.

1- حسان بن ثابت رضى الله عنه:

وإذا ما أخذنا ننظر في مقام الشعراء وما ساهموا به بنصيب، وما جاهدوا به ألسنتهم، إلى جانب جهادهم بنفوسهم وسيوفهم، وجدنا حسان بن ثابت رضى الله عنه شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليسهم بنصيب كبير في تصوير هذا الموقف النبيل الذي وقفه المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقد روى ابن إسحاق مقطوعة شعرية لحسان بن ثابت رضى الله عنه سجلها ابن هشام في السيرة النبوية وإن كنا لا نجدتها في ديوانه.

قال حسان:

فما نخشى بحول الله قوماً	وإن كثروا وأجمعت الرُحوفُ
إذا ما ألبوا جمعاً علينا	كفانا حدّسهم ربُّ رؤفُ
سمونا يوم بدر بالحوالى	سراعاً ما تُضَعِّضُنَا الحُتُوفُ
فلم ترعُصبةً في الناس أنكى	لِمَن عَادُوا إِذَا لَقِيتَ كَشُوفُ
ولكنّا توكلنا و قلنا	مآثرنا ومَعْقِلنا السُّيُوفُ
لقيناهم بما لما سمونا	وَنَحْنُ عِصَابَةٌ وَهَمُّ أُلُوفُ ²⁶

2- النابغة الجعدي قال:

الحمد لله لا شريك له	ومن لم يقلها فنفسه ظلما
المولج الليل في النهار	وفي الليل نهار يفرج الظلما
الخالق البارئ المصور في	الأرحام حتى يصير دماء
من نطفة قدّها مقدرها	يخلق منها الأَبْشَارَ والنسما ²⁷

²⁶ - ابن هشام السيرة النبوية بشرح الوزير المغربي، الطبعة الأولى (1412هـ - 1992م) دارالفكر، بيروت، لبنان. : 22/1.

²⁷ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف بالقاهرة، الطبعة الثامنة عشرة. ص: 103.

كما يقول:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى
أقيم على التقوى وأرض بفعالها
3- كعب بن مالك قال:
لما حامت فوارسكم ببدرٍ
وردناه بنور الله يجلو
رسول الله يقدمنا بأمر
بنصر الله روح القدس فيها
يقول أيضاً:
أجيبونا إلى ما تجتديكم
وإلا فاصبروا لجلاد يوم
إذا قالت لنا النُدُر استعدُّوا
لنظهر دينك اللهم إنا
4- عبدالله بن رواحة:
شهدت بأن وعد الله حق
وأن العرش فوق الماء حق
وتحملة ملائكة غلاظ
ويتلو كتابا كالمجرة فسيِّرا
وَكُنْتُ مِنَ النَّارِ الْمَخُوفَةِ أَحْذَرًا²⁸
ولا صبروا به عند اللقاء
دجى الظلماء عَنَّا والغطاء
من أمر الله أحكم بالقضاء
وميكال فيا طيب الملاء²⁹
من القول المبين والسداد
لكم منّا إلى شطر المذاد
توكّلنا على رب العباد
بِكَفِّكَ فاهدنا سبيل الرشاد³⁰
وأن النار مثوى الكافرينا
وفوق العرش ربُّ العالمينا
ملائكة الإله مُسَمَّوِينَا³¹

²⁸ - المصدر نفسه، ص: 101.

²⁹ - ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، أبو الفداء، البداية والنهاية،

دار إحياء التراث العربي، ط: 1-1408 هـ. 4، 3/352.

³⁰ - السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: دار الفكر،

بيروت، لبنان. 6/272.

كما يقول:

يارب لولا أنت ما اهتدينا

ولا تصدّقنا ولا صلّينا

فأنزلن سكينه علينا

وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الكفار قد بغوا علينا

وإن أرادوا فتنةً أبينا³²

تأثير القرآن الكريم في المعاني

تأثر الشعراء بمعاني القرآن واستمدّوا أفكارهم من روح الإسلام فاقتبسوا أنماطاً جديدة في التفكير والتعبير من الآيات القرآنية كما بدأ يردد هؤلاء الآيات القرآنية أو معانيها في كتبهم وخطبهم ووصاياهم وأشعارهم. فتلمح أثراً بليغاً للمعاني القرآنية في الأدب العربي. وساروا على منهج جديد حيث تناولوا كلمات القرآن ومعانيه كالجنة، والنار، والثواب، والعقاب وكالاعتزاز بالإسلام بدل الاعتزاز بالقبيلة، كما يقول الخطيب:

أبي الإسلام لا أب لي سواه

إذا افتخروا بقيس أو تميم

ياقيس، لا تجب النداء فمالنا

نسبه نجيب به سوى الأنصار

نسب تحيّره الإله لقومنا

أثقل به نسبا على الكفار³³

يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه:

أعيني الرسول فإن الله فضله

على البرية بالتقوى وبالجود

وقد زعمتم بأن نحمو ذماركم

وماء بدر زعمقم غير مُورود

فينا الرسول وفينا الحق نتبعه

حتى الممات ونصر غير محدود

³¹ - أبو عمر يوسف بن عبدالله بن مُجَدِّد بن عبدالبر القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، الطبعة الثانية

(1422هـ - 2002م) دار الكتب العلمية، بيروت. 3/305.

³² - المصدر نفسه، 4/282.

³³ - ديوان حسان بن ثابت رضى الله عنه، دارالكتب العلمية، بيروت. ص: 55.

مبارك كضياء البدر صورته	مقال كان قضاء غير مردود ³⁴
ويقول ايضاً:	
شهدتُ بإذن الله أن مُجْداً	رسول الذي فوق السموت من علّ
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما	له عمل في ديه مُتَقَبَّلُ
وأن الذي عادى اليهود ابن مريم	رسل أتى من عند ذى العرش مرسل
وأن أخا الأحقاف إذ يعدلونه	يقوم بدين الله فيهم فيعدل ³⁵
قال أبوبكر صديق رضى الله عنه:	
أَرَى مِنْ لُؤَيِّ فِرْقَةٍ لَا يَصُدُّهَا	عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
أَتَاهُمْ رَسُولٌ صَادِقٌ فَتَكَذَّبُوا عَلَيْهِ	وقالوا: لست فينا بما كثر
إِذَا مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ أَدْبَرُوا	عن الحق إدبار الكلاب اللّواهِثِ
فَإِنْ يَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَعَقُّوقِهِمْ	فما طيبات الحلّ مثل الخبائثِ
وَإِنْ يَرْكَبُوا طَغْيَانَهُمْ وَضَلَاتِهِمْ	فليس عذاب الله عنهم بِإِلَابِثِ ³⁶
كما يقول:	
فصلى الإله إله العباد	وأهل البلاد على أحمد
فكيف الإقامة بعد الحبيب	بين المحافل والمشهد
فليت الممات لنا كُنَّا	وكُنَّا جميعاً مع المهتدى ³⁷
قال كعب بن مالك:	

³⁵ - ديوان حسان بن ثابت رضى الله عنه، ص: 189.

³⁶ - ديوان أبوبكر صديق رضى الله عنه، الدكتور عمر الطباع، دار أرقم، الطبعة الأولى (1420هـ - 1999م) بيروت، لبنان. ص: 138.

³⁷ - ديوان صديق رضى الله عنه، ص: 152.

فينا الرسول شهاب تم يتبعه
الحق منطقة والعدل سيرته
يَمْعَى ويذمرنا عن غير مَعْصية
ليسا سواء وشئى بين أمرها
قال كعب بن زهير:
أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي
فَقَدْ أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ مَعْتَزِرًا
إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٍ لَسِيْتِضَاءَ بِهِ
زَالُو فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كَشْفٌ
تَأْثِيرَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الصِّيَاغَةِ وَالْأَسْلُوبِ

ويبدو أن كعب بن مالك كثير القراءة للقرآن والحفظ له والامتزاج بروحه إضافة إلى ما يبدو في شعره من ألفاظ وأساليب، تنطلق من مخزونه القرآني لتنتظم في شعره بانسجام واتزان، وهو في تلك الميزة ومن تسرب الأسلوب القرآني في شعره له:

1- كعب بن مالك

صبرنا لانرى يالله عدلاً
وكان لنا النبي وزير صدق
لننصر أحمد والله حتى
ويعلم أهل مكة حين سادوا
بأن الله ليس له شريك
على مانابنا متوكلينا
به نعلوا البرية أجمعينا
فكون عباد صدقٍ مخلصنا
وأحزاب أتوا مُتَحَيِّزِينَ
وَأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ⁴⁰

³⁸ - محمد عبدالرحيم، موسوعة روائع الأدب الإسلامي، دار الراتب الجامعية بيروت، لبنان. ص: 61.

³⁹ - ديوان كعب بن زهير، دارالكتب العلمية، بيروت. ص: 335.

2- فاطمة بنت مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم تقول:

اغبرّ آفاق السماء وكورت
شمس النهار وأظلم العصران
فالأرض من بعد النبي كئيبه
أسفا عليه كثيرة الرجفان
يا خاتم الرسل المبارك ضوؤه
صلى عليك منزل القرآن⁴¹

3- قال أبو بكر صديق رضى الله عنه:

يَارِبِّ مَا يَخْشَى وَلَا يَضِيرُ
شَيْئاً وَقَدْ ضَاقت به الصُّدُور
كَم مِنْ صَغِيرِ عَقْلِهِ كَبِيرِ
وَمِنْ كَبِيرِ عَقْلِهِ كَبِيرِ
وَاللَّهِ رَبِّي وَاحِدٌ قَدِيرِ
وَفِي الْبِحُورِ تَغْرُقُ الْبِحُورِ
لَيْسَ لَهُ فِي فِعْلِهِ مُشِيرِ
تَجْرَى كَمَا يَشَاؤُهُ الْأُمُورِ
وَلَا تَغْيِرُ كَوْنَهُ الدُّهُورِ⁴²

قال كعب بن مالك رضى الله عنه:

وَقَدْ أُوتُوا مَعاً فَهَمًّا وَعِلْمًا
وَجَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ النَّذِيرِ
نَذِيرِ صَادِقٍ أَدَّى كِتَابًا
وَآيَاتٍ مُبَيِّنَةً تُنِيرِ
فَقَالُوا مَا أَتَيْتَ بِأَمْرِ صِدْقٍ
وَأَنْتَ بِمَنْكَرٍ مَنَا جَدِيرِ
فَمَنْ يَتَّبِعُهُ يُهْدِ لِكُلِّ رُشْدٍ
وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ يَجْزُ الْكُفُورِ
أَرَى اللَّهَ النَّبِيَّ أَيُّ صَدْقٍ
وَكَانَ اللَّهُ يَحْكُمُ لَا يَجُورِ
فَأَيَّدَهُ وَسَلَّطَهُ عَلَيْهِمْ
وَكَانَ نَصِيرَهُ نَعِيمَ النَّصِيرِ⁴³

⁴⁰ - ابن كثير: البداية والنهاية، 4، 3/142.

⁴¹ - مُحَمَّد عبدالرحيم، ديوان فاطمة الزهراء: مُحَمَّد عبدالرحيم، الطبعة الأولى: (1421هـ/2000م) دارقبتية، دمشق، ص: 389.

⁴² - ديوان صديق رضى الله عنه، ص: 164.

⁴³ - موسوعة روائع الأدب الإسلامي، ص: 127.

قال النابغة الجعدي:

الحمد لله لا شريك له
المولج الليل في النهار وفي
الخافض الرافع السماء على
الخالق البارئ المصور في
من نطقة قدّها مقدرها
من لم يقلها فنفسه ظلما
الليل نهاراً يفرج الظلما
الأرض ولم يبين تحتها دعما
الأرحام ماءً حتى يصيردما
يخلق منها الأبخار والنسما⁴⁴

⁴⁴ - ابن قتيبة، أبو مُجَدِّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء الطبعة الأولى (1421هـ - 2000م) دار الكتب العلمية، بيروت. ص: 166

ملخص البحث

- ❖ هذا البحث المتواضع بعنوان: "تأثير القرآن الكريم في الشعر العربي في العصر الإسلامي" رد على أوهام المعترضين ضد الأدب الإسلامي.
- ❖ الشاعر الذي تأثر بالقرآن الكريم لفظاً و معنىً وأسلوباً مثل الشاعر سيدنا أبوبكر صديق ﷺ عنوان قصيدته مثلاً: "براءة أم المؤمنين" وكان أمر الله مفعولاً و "ذكرى الإسراء".
- ❖ الشاعر الذي تأثر بالقرآن الكريم لفظاً و معنىً وأسلوباً مثل علي بن أبي طالب ﷺ. وعنوان قصيدته: "بر الوالدين والأقربين" و "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین" و "أقيموا الصلّاة وأتوا الزكوة" وغيرهم.
- ❖ قد أثمر القرآن الكريم لفظاً ومعنىً وأسلوباً على نفوس الأدباء العرب، فصارت الآيات القرآنية ومعانيها وأفكارها وأساليبها تتردد في قصائدهم وخطبهم ورسائلهم وكتبهم ووصاياهم وقصصهم وأشعارهم.
- ❖ فمن يقرأ الأدب الديني ويتدبره يزداد إيماناً بما فيه من أثر القرآن العزيز. ونسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل الصالح.
- ❖ والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم خاتم النبيين والمرسلين.